مرثية الليل الثالث

نادر ناشد

مرثية الليل الثالث

لم تعد تحملني البلادُ بالذكرى
ولا رأسي
لم يعد يحمل في بؤرته الملجومة .
. . . خوفاً وضياعاً .
فاستبحتُ مقتلي .
ولا لست أدري . .
أكان الليل مرآتي .
حين دخلتُ
وكشفتُ الكلماتِ الأولى
لليل الأول .
وركضتُ لكي أبكي .
لكني أتماسكُ .
وأحاول أن أرقدَ في غيم التقوى .
قد تجدي .
وكشفتُ الأعضاءَ الحبلى
لليل الثاني .
قالت لا تسكن
لا تسكنني
استجر لحظةً
ثم نم .
فلماذا يأبى أن يتجسدَ لونكَ
في لون الحرف
أن يتلون قلبكَ في لون السيف
فكشفتُ اللونَ الثالث
لليل الثالث .
ورفعت الفجر
مكنت عيوني أن تلمح أبعد من
عيني .
الشجر بلون بلاد غابت .
فانتظرَ الظلُّ ورائي .
أنتظر لكي أبكي .
أتعقّب قطرات دمي
ألمحها في منشورِ زجاج اللون
الزائف .
تتدحرج كنساء
يلقين السرَّ
وينزفن
يتركن الفخذَ العاري
بين الورق وبين الدم .
يتردّدن مراراً
أن يشكين من الجرح .
ويدفنّ الرغبة في أرض النسيان
في عيد مواتك يا حبّي
أترك دمي فوق المنضدة .
أنادي النادل .
أن يحضر أنثى
تشرب من نزفي
أزرع في نهديها جرحي .
أترك ذاكرتي
في بلدٍ لا تعرف خطوي .
تتنكرّ للقيمة .
أن يمشي في شارعها الخائن
ظل يبحث عن معنى .
أو أن يسبح في غيمتها
غشّ لعيونٍ
تتنزّه عن مأوى .
وأقول لجاري الأقرب
«ويحي
قتلتني الخارطة المجنونة . . »
أين تقيم؟
ولماذا تنصرك المدن الحمقى .
وتمدّ الكفين .
وتنام على فخذيك
وتركع لك .
يتركني .
في بسمته
أفهم أني أتسول مملكة الاستفهام .
وأهرول ثانية للعطر اللافح
لبناتٍ يتمشين على الشاطىء
يفرشن الشهوة
في وشم المدن الصرعى .
ـ كأسك .
ورفعت الكأس .
طاشت عينان .
واصطفّت كل الأحرف .
وبلادي أقرؤها .
. . تطردني .
تسخر من حزني
تعصر قلبي .
تتركه يتلوّى
تضحك ساخرةً .
وأنادي في شبه طفوله
« . . . بلدي . . . »
وأنادي في شبه جنون
« . . . وطني . . . »

القاهرة